

م

غَطّاسٌ في بِلادِ الأَناناسِ

قصة: يمام خرتش

رسوم: منّة طارق

تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ

Australian Aid

World Vision

USAID
FROM THE AMERICAN PEOPLE

ALL CHILDREN READING:
A GRAND CHALLENGE FOR DEVELOPMENT



أَدارَ غَطّاسُ رَأْسَهُ بَرِمًا نَحْوَ مِقْدامٍ، وَهَزَّهُ بِالنَّفْيِ،
ثُمَّ أَكْمَلَ حَلَّ الْكَلِماتِ الْمُتَقاطِعَةِ.
فَجْأَةً...



رَأى شَيْئًا فَضَحِكَ، وَلَمَعَتْ عَيْناهُ.


هَلْ تَوَدُّ الذَّهابَ إلى بلادِ الْأَرْضِ السَّعيدَةِ؛
حَيْثُ الْأَشْجارُ الْوارِفَةُ، وَالْأَزْهارُ الْمُلَوَّنَةُ،
وَالْفَواكِهُ الطّازَجَةُ؟
ما عَلَيْكَ سِوى الِاتِّصالِ بِالرَّقْمِ في الْأَسْفَلِ.
(التَّوصيلُ مَجّانِيٌّ)

حاوَلَ الْجَميعُ ثَنْيَ غَطّاسٍ عَنْ قَرارِهِ، لكِنَّهُ قالَ:



اِسْتَغْرَقَتِ الرِّحْلَةُ بِضْعَةَ أَيّامٍ،
ثُمَّ أَدْخَلَ الْعُمّالُ غَطّاسًا إِلى مَكانٍ واسِعٍ
فيهِ بِرَكٌ وَصُخورٌ وَأَشْجارٌ. هَتَفَ غَطّاسٌ:





صارَ غَطّاسٌ يَسْتَيْقِظُ صَباحَ كُلِّ يَوْمٍ؛
يَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ، وَيَسْتَلْقي،
وَيَلْتَقِطُ صُوَرًا مَعَ الزُّوّارِ، وَيَلْتَقِطُ صُوَرًا أُخْرى مَعَ الزُّوّارِ،
ثُمَّ يَسْتَلْقي، وَيَشْرَبُ، وَيَأْكُلُ.
وَهكذا، مَرَّتِ الشُّهورُ كَأَنَّها الدُّهورُ.
وَفي يَوْمٍ مِنَ الْأَيّامِ...







تَذَكَّرَ بَيْتَهُ الثَّلْجِيَّ الْمُنْعِشَ وَساحاتِ الْجَليدِ الَّتي كانَ يُمْضي فيها معَ الْبَطاريقِ أَحْلى الْأَوْقاتِ؛ تَذَكَّرَ الْغَوْصَ في الْمِياهِ مَعَ الْفُقْمَةِ وَفيلِ الْبَحْرِ، وَإِجْراءَ الْمُبارَياتِ وَالْمُسابَقاتِ.



اِشْتَهى طَعْمَ الْأَسْماكِ وَالسَّرَطاناتِ وَالْحَبّاراتِ الطّازَجَةِ،
الَّتي كانَ يَأْكُلُها بِالْعَشَراتِ. فَوَقَفَ وَقالَ:





حَزَمَ أَمْرَهُ، وَذَهَبَ إِلى
مُديرِ حَديقَةِ الْحَيَوانِ.

قالَ بِجِدِّيَّةٍ:



أَخْفَضَ الْمُديرُ نَظّارَتَهُ، وَتَأَمَّلَهُ مَلِيًّا،
ثُمَّ أَشارَ لِلْعامِلِ وَقالَ:


قالَ غَطّاسٌ بِأَسًى:
"يَبْدو أَنَّهُمْ لا يَفْهَمونَ لُغَةَ الْبَطاريقِ!"
فَجْأَةً، خَطَرَ في بالِهِ أَمْرٌ!



بَيْنَما كانَ الزُّوَّارُ مُحْتَشِدينَ حَوْلَهُ، تَرَنَّحَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً،
ثُمَّ أَسْقَطَ نَفْسَهُ أَرْضًا. وَبِسُرْعَةٍ، هَرْوَلَ إِلَيْهِ الطَّبيبُ.

قاسَ حَرارَتَهُ، ثُمَّ أَعْطاهُ حُقْنَةً في الْوَريدِ.

بَكى غَطّاسٌ وَصاحَ: "لا! لَيْسَ هذا ما أُريدُ!".

أَعيدوني إِلى بَيْتِيَ الْآنَ، أَنا لا أَنْتَمي إلى هذا الْمَكانِ!".

لكن...



لَمْ يُعِدْهُ الْعامِلُ إِلى بَيْتِهِ، بَلْ أَرْجَعَهُ مَرَّةً أُخْرى إِلى مَكانِهِ في الْحَديقَةِ. اِسْتَلْقى غَطّاسٌ وَقالَ:



وَقَفَ وَقالَ:



وَانْتَظَرَ حَتّى حَلَّ الْمَساءُ وَنامَ الْجَميعُ، ثُمَّ...

غَطَسَ في ماءِ الْبِرْكَةِ باحِثًا عَنْ مَنْفَذٍ، سَبَحَ وَسَبَحَ، وَعَلى مَسافَةٍ لَيْسَتْ بِبَعيدَةٍ وَجَدَ نَفَقًا يَقودُ إِلى مِياهٍ عَميقَةٍ. صاحَ عِنْدَها:



ثُمَّ وَجَدَ بِضْعَةَ دَلافينَ تَسْبَحُ، فَأَرْدَفَ:

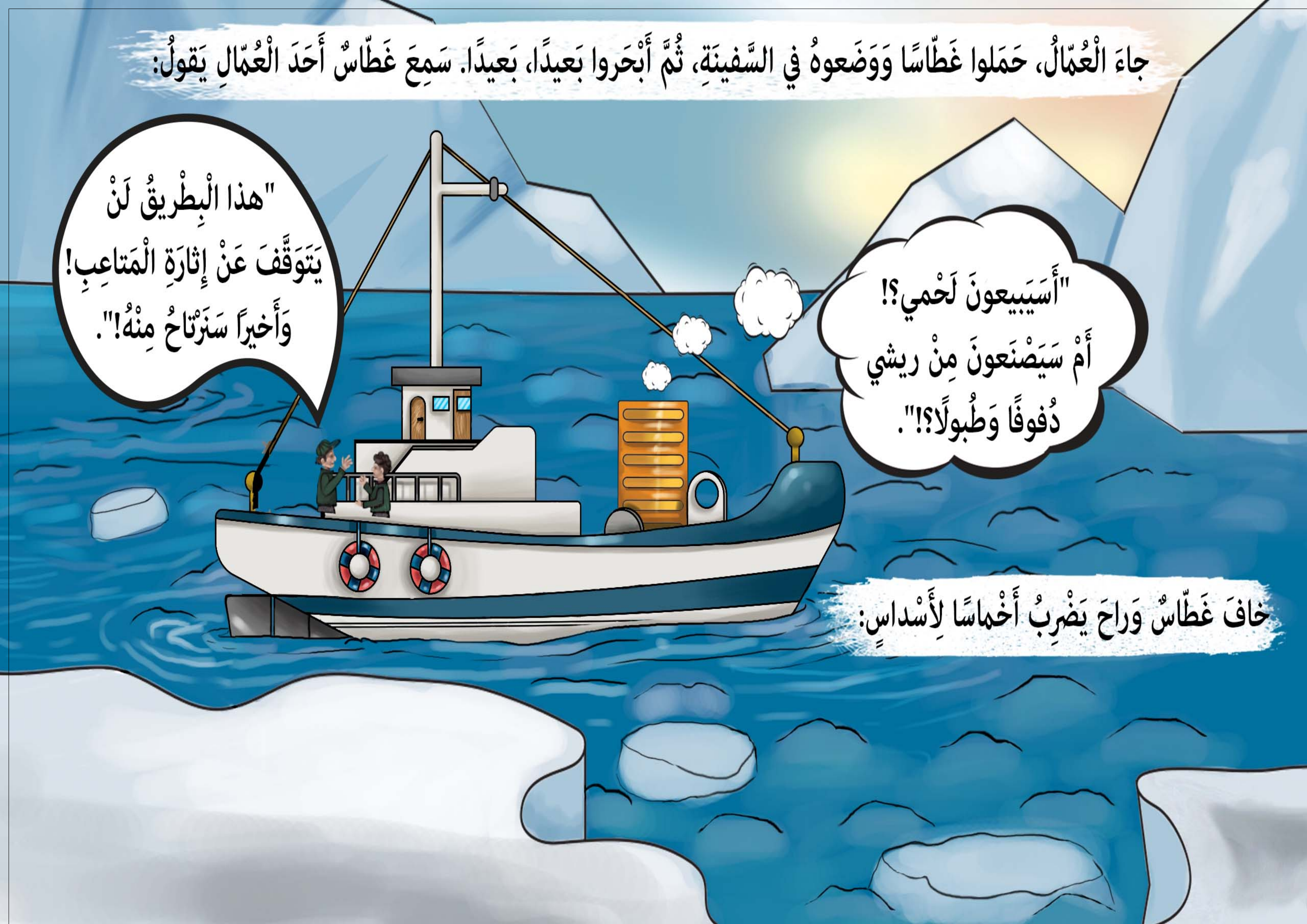


وَواصَلَ السِّباحَةَ حَتّى...


وَجَدَ بِضْعَ فُقْماتٍ يَسْبَحْنَ في الْمِياهِ الَّتي أَمْسَتْ بارِدَةً، فَهَلَّلَ:
"يَبْدو أَنَّني اقْتَرَبْتُ
مِنَ الْقُطْبِ؛ أَهْلًا بِمَسْكَني وَوَطَني!
أَهْلًا بِأَصْدِقائي وَأَهْلي!".
ثُمَّ فاجَأَهُ صَوْتٌ يَهْتِفُ...

قالَ الْعامِلُ ذلِكَ ثُمَّ حَمَلَ غَطّاسًا وَأَعادَهُ إِلى مَكانِهِ في الْحَديقَةِ؛
وَنامَ غَطّاسٌ وَالدُّموعُ تَمْلَأُ عَيْنَيْهِ...
وَفي الْيَوْمِ التّالي حَدَثَ شَيْءٌ غَريبٌ!




جاءَ الْعُمّالُ، حَمَلوا غَطّاسًا وَوَضَعوهُ في السَّفينَةِ، ثُمَّ أَبْحَروا بَعيدًا، بَعيدًا. سَمِعَ غَطّاسٌ أَحَدَ الْعُمّالِ يَقولُ:
"هذا الْبِطْريقُ لَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ إِثارَةِ الْمَتاعِبِ! وَأَخيرًا سَنَرْتاحُ مِنْهُ!".
خافَ غَطّاسٌ وَراحَ يَضْرِبُ أَخْماسًا لِأَسْداسٍ:
"أَسَيَبيعونَ لَحْمي؟! أَمْ سَيَصْنَعونَ مِنْ ريشي دُفوفًا وَطُبولًا؟!".

رَمى الْعُمّالُ غَطّاسًا عَلى الشّاطِئِ الْقُطْبِيِّ وَرَحَلوا...





قَفَزَ غَطّاسٌ مِنَ الْفَرَحِ، وَهَلَّلَ،
وَعانَقَ رِفاقَهُ وَعانَقوهُ. أَمْضى غَطّاسٌ
أَيّامَهُ يَلْعَبُ وَيَتَزَلَّجُ مَعَ الْأَصْدِقاءِ،
ثُمَّ يَذْهَبُ في رِحْلاتِ الصَّيْدِ في الْمَساءِ.
لكِنْ بَعْدَ بِضْعَةِ أَشْهُرٍ...

"هَلْ تَوَدُّ الِاسْتِلْقاءَ عَلى الشَّواطِئِ الذَّهَبِيَّةِ،
حَيْثُ الشَّمْسُ الدّافِئَةُ وَالْمَناظِرُ الْخَلّابَةُ؟
سَتَأْكُلُ الْفَطائِرَ الْمُحَلّاةَ وَتَشْرَبُ عَصيرَ الْأَناناسِ نَهارًا،
ثُمَّ تُقيمُ حَفْلاتِ الْغِناءِ وَالشِّواءِ مَساءً!
ما عَلَيْكَ سِوى الِاتِّصالِ عَلى الرَّقْمِ أَسْفَلَ الْوَرَقَةِ".



الْبِطْريقُ:

هُوَ نَوْعٌ مِنَ الطُّيورِ الْبَحْرِيَّةِ غَيْرِ الْقادِرَةِ عَلى الطَّيَرانِ، وَالَّتي تَعيشُ في النِّصْفِ الْجَنوبِيِّ لِلْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ، لَدى الْبَطاريقِ تَكَيُّفٌ عالٍ مَعَ الْحَياةِ في الْماءِ، إِذْ إِنَّ ريشَها أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ اللَّوْنِ يُساعِدُها عَلى التَّمْويهِ بَيْنَما تَحَوَّلَتْ أَجْنِحَتُها إِلى زَعانِفَ لِتُساعِدَها عَلى السِّباحَةِ.

تَتَغَذّى مُعْظَمُ أَنْواعِ الْبَطاريقِ عَلى (الكريل) وَالحَبّارِ وَالسَّمَكِ وَأَشْكالِ الْحَياةِ الْبَحْرِيَّةِ الْأُخْرى، تَقْضي هذِهِ الطُّيورُ نِصْفَ حَياتِها تَقْريبًا عَلى الْيابِسَةِ وَالنِّصْفَ الآخَرَ تَحْتَ الْماءِ.

مَعَ أَنَّ وُجودَ الْبَطاريقِ في الْعالَمِ مُنْحَصِرٌ في النِّصْفِ الْجَنوبِيِّ مِنَ الْكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ، إلا أَنَّ أَنْواعًا قَليلَةً مِنْها فَحَسْبُ تَعيشُ في قارَّةِ أَنْتارَكْتيكا؛ فَفي الْواقعِ تَقْطُنُ الْعَديدُ مِنَ الْبَطاريقِ عَلى سَواحِلِ أُسْتُراليا وَإِفْريقِيا وَأَمْريكا الْجَنوبِيَّةِ، بَلْ وَإِنَّ أَحَدَ أَنْواعِها (بِطْريقَ الغالاباغوس) يَعيشُ عَلى مَسافَةٍ غَيْرِ بَعيدَةٍ مِنْ خَطِّ الْاسْتِواءِ. أَضْخَمُ نَوْعٍ باقٍ عَلى قَيْدِ الْحَياةِ مِنْ هذِهِ الطُّيورِ هُوَ الْبِطْريقُ الْإِمْبِراطورِيُّ، إِذْ يَبْلُغُ طولُ الطَّيْرِ الْبالِغِ مِنْهُ مِتْرًا وَسَنْتِمِتْرًا، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرى أَصْغَرُ نَوْعٍ حَيٍّ هُوَ الْبِطْريقُ الْقَزَمُ، الَّذي لا يَتَعَدّى طولُهُ أَرْبَعينَ سَنْتِمِتْرًا. بِصورَةٍ عامَّةٍ، تَميلُ الْبَطارِيقُ الْأَكْبَرُ حَجْمًا إِلى الْعَيْشِ في بيئاتٍ أَكْثَرَ بُرودَةً، بَيْنَما تَقْطُنُ الْبَطاريقُ الصَّغيرَةُ في بيئاتٍ مُعْتَدِلَةٍ أَوْ مَدارِيَّةٍ.







النِّهايَةُ